SiBA

الكلمة الصادقة لا تحتاج إلى الزخرفة

سبا الثقافية

شهرية ثقافية فنية

العدد 46

سبا الثقافية

01 / 05 / 2021

بريشة التشكيلي:رضوان باقي

لنا كلمة

التسلّق والإبداع

في هذا الوقت العطب بات الكل يكتب كل شيء، رغم أن السماء هي السماء في كل مكان وأن الارض هي الأرض كما في كل البلاد، والمواضيع متشابهة للكل، وطن وأم وشهيد، مواضيع متشابهة ومشتركة بين جميع الناس، وللكِ وله كما لي أغنية حب في بلاد قلبك الصحراوية أو في بلاد قلبي المتجمدة، لا أحد يلد خارج المنطق وبمعزل عن الأرض، هي نفسها المواضيع التي نقتات عليها للإبداع، لكن الضباب الآتي من كثافة الكتابات وكثرة العناوين يحجب شمس الثمين بغيوم البخس، فيختلط الأمر على المتلقّي، يضطرب الفكر بالقراءة خارج مدار الإبداع لتلد نصوصاً مشوهة خلف تلك الأسماء، حتماً الإبداع ليس حكراً على أحد، إنما أرض مشاع، البذرة التي نرميها نجنيها في الموسم، وما تؤمن به اليوم في عملية خلقك وإبداعك قد ترفضه غداً لأننا في حركة دائمة كما حال الشعر والأجناس الأدبية والفنية، كثر الشعراء وقل الشعر، ازدحمت الرفوف بالسرد وقلّت الرواية، كل هذا ينطبق على كثير من مجالات الحياة.

نحن نبحث عن المفقود والغريب الذي يصدمنا في الأدب والفن، لكنك لن تشعر بالدهشة في صياغة نص نثري يجنح بمجون نحو الرمزية المبتذلة، لا عطر في هكذا صف من الكلمات ولا حياة في هكذا رواية، تضيع ساعات وساعات في عزلة التشوه، لتشعر في النهاية بخيبة أمل، مع إننا في عصر أحدث، أرجع سبب هذا التهافت إلى عدم القراءة، وقلّة المعرفة الفكرية، لا حياة في لحن يكرر على أسماعنا مئات المرات خالقاً ألماً بارداً بعيداً عن انسيابية الدفء، ما اكتسبنا من عادات عشق النتاج الخلّاق؛ أن تسقط الكلمات كحبات المطر على أرض عطشى وتحوّل الجسد حقلاً أخضر، وحدها بكلمات وأفكار مبتكرة.

الذاكرة تبقى رطبة بالحنين لنعود مرات ومرات، إلى تلك القصة التي جاءت في سياقها الطبيعي دون خلق مصادفات اعتباطية، إن عدنا إلى إيزابيل الليندي والولادة بعد لدغة الأفعى ومضاجعة الهندي أثناء الموت لخلق ترياقاً لحياة جديدة، أو لروسكولينكوف وتأنيب الضمير واجتماعهما تحت سقف واحد، العاهرة والمجرم، كل قارئ للجريمة والعقاب كان يبرر لكليهما فعلته والأنثى القارئة تود أن تكون هي سونيا والذكر يتمنى أن يكون روسكولينكوف، فكيف تجفّ ينابيع الدهشة من هكذا روايات خالدة؟ لن تجف ما دامت تسقي الذاكرة قطرة قطرة، وحدهم المبدعون يرسمون لنا خواتيم النهايات بعبقرية فذّة، قد يكون الخطأ في مَن يدوّن لشهرة الاسم وليس لخلق التدوين بشكل يليق بالإبداع، وهذه الخطوط التي نصادفها يومياً بالقراءة لا تمل من اعوجاجها وشحننا بكمية هائلة من الضجر، لنعيش حكايات الاغتراب حتى عن ذواتنا ولترتجف الصفحات بين أيدينا، كأعمى يلاحق المعنى في الزحام غياب الخط التصاعدي للقصة وعدمية ملامح الشخصيات يسقط وقتك في الفراغ، وتندم على كل ذلك الوقت الذي منحته للكتاب بين يديك من فكرة شبيهة لفكرة قرأتها سابقاً.

إنها خيانة الفعل في مسح ملامح الفكرة السابقة، في حقيقة الأمر كقصيدة تعج بالأخطاء، كثمار فجّة تأخر عنها النضوج، تمشي في الصفحات بسرعة كأنك تقطع الشارع قبل فتح إشارة المرور لتصل للرصيف، أيها الكتّاب اهدأوا ولا ترسلوا نصوصكم إلى المذبحة قبل أن يكتمل نضجها العضلي والفكري، ارسموا لنا قُبلة على جبهة القصيدةِ، لنقطع الفواصل وعلامات الترقيم بلهفة المسافة، لتؤسسوا لأغنية نطرب لها كلحن من ندى بدل أن نشعر بالغثيان، أغنية نكرر سماعها دون ملل، أو لوحة ممهورة بالحب نتأمل فيها الزمنِ ووجوهنا المتعبة، ممهورة بطقوسٍ من الخواء، احترم ما تكتبه وتؤلّفه وتخلقه لكي نحترمه بشغف الطفولة والدهشة، لحناً من انسكاب المعنى لنعانق حروف أسمائكم بدلاً من السقوط في الفراغ.

هيئة التحرير

تقرؤون في هذا العدد:

طلال حيدر لجريدة سبا
أنا الزمان والمكان معاً جئت إلى الشعر من شعراء العالم...

إيفار
هيفي قجو

موتى السعادة الغامضة
"حديقة المحتضرين"
مصطفى تاج الدين

إيزيس لا ضوء للغرقى في كف البحر
لودي شمس الدين

قراءة في الديوان الشعري (شيطان)
جوان زكي سلو

المواد المنشورة في الجريدة تعبر عن آراء كاتبيها
ولا تعبر بالضرورة عن رأي الجريدة

لمراسلتنا أو إرسال موادكم:
sibakenu@hotmail.com

طلال حيدر لجريدة «سبا»: أنا الزمان والمكان معاً
جئت إلى الشعر من شعراء العالم فضائي الأول بعلبك التي رأيت فيها الدّنيا.

حاورته: فاتن حمودي

يقول طلال حيدر : ”**هاجسي القبض على الزمن الهارب“، كأنه في حالة عشق أبداً أو كما يقال في لحظات الحب القصوى ”ينسرب من بين الأصابع الزمن“.**

مضى الحوار مع الشاعر طلال حيدر منفلتاً نحو الشعر وفلسفة الزمان والمكان كأنه القصيدة المتألقة وأغنية فيروز التي لا تنسى ”وحدن بيبقوا متل زهر البيلسان“.

شعر مقطوف من القلب ومن الذاكرة المكانية؛ وقاموس شعري قادم من منابع الجمال وسراج الطبيعة اللبنانية المتوقد أبداً.

كأنه حطّاب الأزمنة يجرجر من الأحراج كل لحظات الحب والعشق والوجد، يمضي مع الشعر بصدق مثل بياض الثلج ودموع المطر، يغني مع فيروز: ”يا زمان يا عشب داشر فوق هالحيطان ضويت وَرد الليل ع كتابي .. برج الحمام مسور وعالي .. هج الحمام وبقيت لحالي...“.

طلال حيدر شاعر (رؤيوي) يرسم منصته الكونية بألوان قزحية وضبابية ومطرية وصيفية وعشبية ليدخل كونه في حالة عشق وتأمل وصلاة، كون خارج كون يسحب الزمن من ضفائره ويأخذ المكان إلى منصة الشعر ليكون هو اللوحة والمغنى معاً في حضن هذا الكون. يتربع بعدها على عرش القصيدة الطالعة مع روح الرحابنة وبيبلوس واليسار وروح الشاعر التي تفيض بعشق الصوفي الحائر والعاشق والمتوحد والملتم ليصل إلى صدق المقولة: ”عبر كل كائن حي ينفتح مكان حميم وفريد على العالم“. هذا المكان هو بعلبك الجالسة في حضن سهل البقاع، ويضعنا أمام الأصيل ذي النكهة (الأفراس، الخبرات، المدن،الشجر، الحجارة، البيوت، الأبواب وركوة القهوة) والإنسان بطل على هذا المسرح دائماً كأن شعره من عصر مضى، عصر الرومانس والفروسية والتغني بالطبيعة.

يحفظ في ذاكرته مخزوناً ثقافياً قادماً من إيلوار وبريتون ومن ”كتاب الموتى الفرعوني والمتنبي“ والأهم كتاب الطبيعة، وصوت فيروز لهذا أصبحت تجربته تشكل تياراً في الشعر اللبناني المحكي، الشعر القابض على الهارب والمهجوس أبداً بزمان ومكان لأنهما الإنسان .

تحدث عن الزمن كأنه في حالة تجدد دائم لا تستطيع أن تستحم في مياه النهر الواحد مرتين، هكذا يمضي الشاعر نحو الحلم والنوم المنام حتى يتحول الزمن إلى بعد سريالي نوراني يأخذنا الى أتون العشق والجنون معاً .

- طلال حيدر الشاعر، ما الذي يشكله لك الزمان والمكان كبعد فلسفي وشعري ووجودي؟

*- الزمان والمكان هما الإنسان نفسه وكلّ شاعر وكلّ إنسان هو الزمان والمكان، فحين يتحدث الناس عن هذين المفهومين الزمان والمكان يحدث التباس ما، خاصة حين يضعون الزمان والمكان خارج الإنسان، فالزمان والمكان هما الإنسان نفسه لأنه لولا الإنسان كيف سيقيس العقل حركة المادة؟ وكيف يدرك العقل حركة الأرض؟ لهذا فالمكون الأساسي لحركة الزمان هو الإنسان، كونه يُشكّل الجزء الأساسي من الزمان. المكان ليس خارج الإنسان، لأن المكان الأول الذي يسكنه الإنسان هو الجسد، هذا الجسد يعني كائن في المكان، لهذا أقول نحن الزمان ونحن المكان. يقولون الزمن الأرضي وزمن المريخ أوالزمن الكوني الذي يتعلق بمدى سرعة دوران هذا الكوكب حول الشمس. الأزمنة تقاس بالعقل الإنساني لحركة المادة، فإذا خرجنا من الدائرة الفلسفية إلى الدائرة الشعرية فإنني أرى نفسي في مكان تمرُ عليه الفصول، ويتداخل مع الزمان حتى ليصبح المكان والزمان شيئاً واحداً. لا يكفي الإنسان أن يستعيد ما سرق منه من الزمان، لأن الزمن مستمر، يكفي أن يغمض عينيه على ديمومة الزمان الذي يعيشه الشاعر ليشمّ رائحة الأمكنة المنسية في ذاكرة العين؛ وحين أمدّ يدي للزمن البلعبكي البعيد زمن طفولتي أرى ذلك -الطلال- يركضُ في ملاعب الطفولة تحت المطر. أرى ذلك المكان وأشمُ رائحة الزمان ومن يفصل بينهما المكان هو العنصر الأساسي مع الانسان في تكوين الزمان، وليس هناك مكان أزلي إلا في الجنة، إنه خارج الزمان ويقع في الأبدية. المكان الأرضي هو دائماً مكون زمني أساسي لا نستطيع أن نحكي عن الزمان والمكان مفصولين لأنهما متداخلين حتى ليشكلا وحدة الوجود والإنسان ولا ينظر إليهما خارجه، لأنهما بين هدبين وفي المسافة التي تقع بين عقله ويديه، من هنا أنا الزمان والمكان .

- طلال حيدر عين كبرى ترصد، تختزن، تهجس، تحول الأشياء إلى إبداع وبخاصة الأشياء ذات العلاقة بالأمكنة الحميمة، كيف تعيد الزمن الذي ينسرب من بين الأصابع؟

*- أنا مسكون بهاجس الزمان لأنني أبحث عن بطء الحركات السعيدة التي لا تقطف، كنت وأنا صغير أنام تحت شجرة اللوز أوائل الربيع لأرى كيف يتفتح زهر اللوز. كنت أستفيق وقد فتح زهر اللوز في غياب الصحو و أنا نائم لم أفتح عيني بعد .

هاجسي في القبض على الزمن الهارب مثل ألمي يفتح الواحد كفيه ليملأهما ماء، ويشرب ويسيل الماء بين الأصابع كما يسيل الزمان على حافتي

وجه الإنسان الراكض .

سكناي في الهاجس الزمني والمكاني هما السمة الأساسية في شعري، أنا لا أبحث ابداً إلا عن سر الزمن الهارب فيّ وفي العالم.

- ذاكرتك الشعرية من يحفظها غيرك؟

*- لم أر إنساناً قابلني وأنا لا أعرفه إلا وأسمعني شيئاً من شعري. كنت في أبوظبي مول أوقفني رجل ثم سأل ابنته عن شعري، فسمعت منها قصائد لي كنت قد نسيتها. مايدهشني هي الذاكرة الجماعية التي حفظت شعري مع أنني بخيل في إعلان ما أكتب!

- البيت الذي ولدنا فيه محفور بشكل مادي في الذاكرة، وعلى الرغم من السلالم الكثيرة نعود إليه، هل لك أن تحدثنا عن فضائك الأول الذي تفتحت روحك ووعيك به؟

*- السؤال جميل. الفضاء الأول، المكان الأول هو ليس بيتي، هو بعلبك أول مرة رأيت الدنيا ” عم ينزل فيها ثلج... أول مرة شفت فيها الدني عم تشتي، أول مرة شميت فيها ريحة المطر بعد الشتي ... أول مرة شفت لعبة الطفولة كيف بتتخبا تحت مخدة النوم... أول مرة شفت كيف التياب بتتخزق تحت سياج البساتين... أول مرة شفت كيف بيصفر ورق الحور والخريف... أول مرة شفت الصيف كيف بيحمل عناقيده ع شجر البستاتين... أول مرة شفت السما كيف بِتْسَكِر وجهها بملاية الغيم وكيف بتفتح وجهها بأزرق الصيف...“، كل هذا كان بعلبك.

- وماذا عن أول حب؟

*- أول حب كان مثل اللغات القديمة ع ورق برُدي.

نامت وماعاد حدا شاف منام من بعدا كان ما رقْ الطقس قبل شوي من حدا \والمي زرقا مثل جايه السما بالصيف لعندا \وطارت عصافير الأساور ما حدا ردا \عم يقطفوا لولاد بنومهم ورد

وعم يوقع الورد من نومهم ع خدا.

- ما الذي قطعه طلال حيدر من فضائه الأول الأم والأب ليصلا به كل سلال الشعر؟

*-كثير من الأوروبيين يدخلون بالعلاقة الأبوية أو الأم من أجل أن يصلوا إلى فرويد أو يونغ هذا كله كلام ،نحن خمسة أخوة شباب وبنت كل واحد منا يقطف من مطرح ناس بيقطفوا من سلة المصاري \وناس بيقطفوا من سلة النجوم \ أعود إلى أمي وأبي والبيت الذي نشأت فيه.

تصوري لم أكن أحكي مع أبي بكل زماني أكثر من خمس دقائق، ففي زماننا لم يكن أهلنا يحكون معنا، وكانوا يستحون أن يقولوا كلمة حلوة\ يخجلون أن يقولوا لنا من فضلك أعطنا الملح! يخجلون أن يقولوا الكلمة الحلوة ويستحون من الحلو\ كانو فقط يعلنون غضبهم.

أما كلام الحب والحِنية والعاطفة لم يكونوا يقولونه لا لأنهم قساة القلب، أبداً. كنت أشم رائحة الحب بالهواء، ولكن فقط كانوايخجلون من الكلام الحنون.

وقد كتبت لأبي، عفواً أنا لا أكتب لأحد \أنا بكتب من بيي (أبي) ما الذي عمله بي من الداخل؟ مساحات روحية أكتب عنها \كل واحد يكتب عن شيء أقل من الحدث بكثير، ففي الحرب اللبنانية الذي حكى أو كتب عن ولد قتل برصاص قناص \ وهو ناطر على الفرّان \أقل بكثير من الولد الذي مات، لكن من يكتب عن ولد صغير قتل فيه أي قتل بالشاعر\ جوّه (داخل) فهو يلخص كل أطفال الأرض بذاك الطفل الذي قُتل بالشاعر، لذلك نكتب من وليس عن. أنا اكتب من بيي مش عن بيي أقول لأبي .“

مات بيي يا قمر ضوي بأرض الدار\ الحجر ميت بالقفص والولاد عم بيتراشقو بحجار .

قلنا في مصطبة وسلّم ع باب الدار وفي عشبة النسيان بحجار الدار وقلنا في درابزين وفي ليلكة تهرهر غياب الدار“ .

أنا أكتب عن أبي ما الذي فعله بي في الروح؟ وأكتب عن أمي أيضا، أحبهم لأنهم أصحابنا وأهلنا مع الوقت

وصحابنا\ حتى لو كنا صغاراً وقت اللي راحوا \ لازم نبقى أطفالا لأننا بدورنا صرنا أهل \وبدنا يضل التوازن بين الصبي يلي صار أب وبين الأب يللي راح.

- الشباب الأول افتراق وتأكيد وجود عين قلقة تحاول خلخلة الأشياء، هل لك أن تحدثنا عن تلك المرحلة والتغيرات الطارئة على مستوى الحلم والواقع معاً؟

لا يوجد شباب أول أوشباب ثان. أنا ما أزال في الشباب الأول، ولا أومن بأن هناك شعر عربي أو أجنبي (انجليزي - فرنسي)، إنما هناك يوجد شعر بالعالم. حين أتيت إلى الشعر جئت إلى الشعر من العالم، جئت وأنا جايب أراغون وبريتون وإليوار وسان جون بيرس. جئت وأنا جايب بيتس شكسبير وخوان ريمون خمينيز، كل شاعر منهم كنت شوف كيف فتح السما تبعو\ و وسّع الفضا الشعري ،ولذلك أنا جاية (قادم)

من كل الشعربالعالم، جايه لحتى افتح بواباتي وافتح سمايي وضيف نجومي وقمري \

الشاعر يلي ما عندو شي يزيدوا على السما الشعرية يزينها ينقط فيها نجوم أو قمر \أحسن يسكّر(يغلق) شبابيك بيته ويغمض عيونه وينام \ مش حرزانة يحكي

شيء \فأنا جايه أولا من الشعر اللاتيني بشكل عام، ثم توسع ثقافتي على الشعر الإسباني والإيطالي ، ثم انفتح على الشعر الانجليزي ، رحت إلى فضاءات الهند واليابان والصين والشعر القديم، فمن يبدأ بالنسبة لي تراثه الشعري من كتاب الموتى في تراث الفراعنة، ومن بيكنغ الصيني القديم بين عشرة ألاف وسبعة إلى ثمانية آلاف عام \ من هونيك (هناك)، بدأ فضائي الشعري مش بس من الشنفرى وتأبط شراً و...

السفر اكتشاف

- تجارب السفر تدخل في الخبرات والتزوّد بالثقافة والعلم، ماذا عن تلك التجارب؟ ما الذي أخذته وكيف تقرأ الرحلة والكوكب و السفر؟

*- السفر أنا

يقول: (ها الأرض جاية مدوخة بتهز ع الميلين\

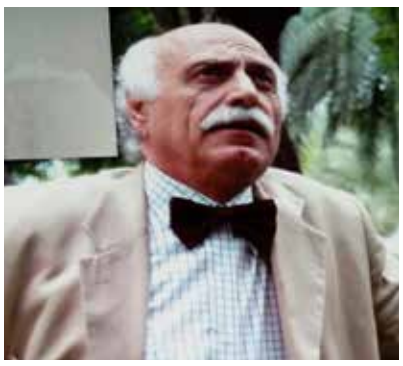

ع كتر ماهي خفيفة بيحملوها تنين \ وزغيرة طير الحمام بيقطعا بيومين\

كان الناس سابقاً حين يسافرون يحكون عن أدب الرحلات أو عن الغربة برأيي لا يوجد أدب رحلات ذلك(تجليط) وما في غربة الأرض كلها طير الحمام بيقطا بيومين .

السفر الحقيقي والغربة الحقيقية حين يغترب الإنسان عن حاله، وهنن نايمين ولادي على مخدتهم بإيطاليا \وهم يكبرون ويتعلمون\ هونيك كان السفر بالنسبة لي شوق العين\ بعدين .. بعد ما دوّخت الأرض دوران

يلي بسافر بحالو بتصغر مسافات الأرض البرانية عليه\ واللي بحالو مابسافر بأي خطوة

يخطوها يسقط من الفضاء وبتتلقاه الأرض .

أنا ادمنت السفر لدرجة صارت الأماكن هي مطارحي الحميمة كلها \أ حين أرى لبنان تمتزج جغرافية الأرض بأرضي\ وانا ماشي ببعلبك بكمل بباريس وبروح على ساحة كاليفاردي في بالما بإيطاليا\ وببرم (أتجوّل) بأبوظبي على الشواطئ البحرية التي اعرفها منذ عام١٩٧٠ بتصير كلّها مطارح لأرض النوم

تبعي\ السفر يوسع جغرافية النوم قد ما بوسع جغرافية الروح .

ولذلك لا أقول دهشة السفر، ولا ماذا أكتشف في الرحلة، فكلّ شيء موجود فيك. ماذا تعني الغربة وبيننا وبين المريخ سبعة أشهر؟ الذي يدمن السفر بالداخل بيصير السفر بالخارج نزهة عين، وليس تلك المسافة التي يقطعها، بتصير سرعته سرعة الضوء، ما الذي سيسبق الضوء، في السفر بالأرض نحن نمشي بسرعة الضو\ لازم نصير نوم\ تانشوف مناماتنا ونرسمها بسرعة الضوء ومافي سفر يساعد .

فيروز والرحابنة

- ما الذي أضافه صوت فيروز وموسيقى الرحابنة لشعر طلال حيدر؟

*- ألخص علاقتي بفيروز بكلمة عشرة عمر، وقل كتبت كتاباً عن فيروز من أول العمر،

وفيروز عشرة عمر حين أجريت عملية قلب مفتوح وجاء صوتها مرة واثنين وثلاث واربع يأتي صوتها يتفقدني كنت اطلع من القلب المفتوح الى الفضاء الذي أركض به\ فيروز عِشْرة عُمُر بدأت حين كنا صغاراً وبعدنا صغار\ عمر الصداقة ما بيخلص والعمر بيخلص .

الناس تكتب قصائد لتغنيها فيروز المغنون يطلبون قصائد لتصير شعراً ليس مهماً أن تغني

فيروز لي أو لغيري، المهم أن تغني وغني يا فيروز، وضلي عم تغني\ حين أسمعها تغني أتعلم معاني ما كنت بعرفها بشعري أنا و عم أكتب.

- ماذا عن الأولاد والبيت والعائلة ولحظات العشق الساكنة فيك؟

*- ألخص هذه العلاقة بما يلي: الذي يفكر بأن أولاده لازم يكونوا بهاء الدني ويحققوا له أفكاره ورغباته وأحلامه يكون عم يقتل أولاده \ولادنا بدنا نتعلم منهم كيف يرون الدني لانهم أكبر منا بفرق العمر هم لمساحة الزمن إللي جايه، ونحن لمسافة الزمن اللي راح\.. وياريت عندي بنت لعلم الدني قديش البنت مية (ماء)الروح وبعرف بدون ما يكون عندي بنت يأتي مدمن عشق من لعشق بعرف أديش عشقي من

شعري يللي بيطلع مني مو من حبيبي\ أُضئت بحالة العشق وإليك هذا المقطع من قصيدة لي لتعرفي كم أنا عاشق:

/ عم تسرح الغزلان
ما أوسع البرية
طلع الطقس بكير ما بيرجع لعشيه
طلّوا بنات العرب
عم يسألوا عليي
شالوا عن وجوهم
غطا لبنان
فكرتهم هيي تاري الغزالة بلبنان
بتكبر شويه. /

هيفي قجو

إيفار

كان والدُها يراقبها من النّافذة المطلة على الباحة وبهدوءٍ يحاكي ملامحها الرقيقة، نظرت الطفلةُ إلى السَّماء الشاسعة وكأنها تستجدي الربَّ شيئاً. نظّفت البقعة الإسمنتية في فناء المنزل ثم أخرجت من حقيبتها المدرسية طباشير ملونة وبدأت ترسم وهي تدندن أنشودةً بفرح. بعد أن أكملت اللوحة، نزعتْ حذاءَها الصَّغير وعلى رؤوس أصابعها مشت لتنكمش بعدها على نفسها وتتوسد الشيء المرسوم. شرعت الدَّهشة تنمو في عيني الأب طيوراً مرتبكةً: إيفار إيفار... لكن الصَّغيرة كانت قد استسلمت للنوم في حضن أمها الغائبة... لم يكن هناك سوى دمعتين تنحدران من عيني الأب...!

الحرباء...!!

لا أعرف بدقةٍ، من أين انهالت الضربة الخاطفة على رأسي؟
فجأة اختفى دفتري من على مقعدي، ليفاجئني أستاذ مادة "التربية القومية":
قجو... خلينا نحكي برا!!! بخطى مذعورة سرتُ خلفه وإشارات الاستفهام تحاصرُ ذهني:
ــ غداً تأتين بوليّ أمرك! كيف تشبّهين الأب القائد، الأب الضرورة بالحرباء؟! حرباء...!! تساءلتُ: أي حرباء أستاذ؟ لا تتصنعي دور البلهاء، انظري إلى دفترك!
ــ من فضلك دقّق النظر أستاذ..إنها "الحياة جميلة" وليس "الحرباء"!
في الحقيقةِ تذكرتُ أنني كتبتُ سهواً أو ربما للهروب من لفحةِ مللٍ عابرةٍ عبارة "الحياة جميلة" فجاءت لتغطي صورة "القائد ــ الضرورة"...
في صبيحة اليوم التالي رافقني والدي، حيث أخبرته الإدارة أنني في مأزق!
لكن وردة أمل انبثقت في تلك اللحظة ــ ونحن في الإدارة ــ فجأة ظهرت صديقتي "خلات" ومعها دليل براءتي، كانت قد جمعت مزق الغلاف وألصقتها ببعضها بعضاً وقدّمتها للإدارة؛ فأنقذتني من تهمةٍ باطلةٍ، كان ثمنها أقله الطرد من المدرسة ! إنه زمن البعث المقيت ولمّا يزل !

الموت

عبد اللطيف الديب

وقف على حافة بحيرة قلبه مودعاً، ورمى حصاة ذكرياته هناك، فتراقصت دوائر الأيام أمامه معاندة، تغالبه، وتغني له:
ــ لا، لن تفارق الحياة.

محمد العياطي

حزن عميق

حول مائدة الإفطار جلس الرجل على كرسيه المتحرك مع زوجته وابنه.
واكتفى بشرب فنجان قهوة سوداء.
سألته زوجته:
هل تشعر بتحسن الآن؟
لاذ الزوج بالصمت. ونظر إلى ركبتيه وهو يتذكر الشظية التي بترت ساقيه.
سأله ابنه: هل صحيح أننا سنغادر هذا المخيم في الشهر القادم؟
صمت الأب.
متى سنعود إلى أرضنا؟؟؟
لم يجب الأب ابنه. وإنما طلب من زوجته أن تدفع به الكرسي إلى خارج الكوخ.
هناك أشعل سيجارة؛ ونظر إلى السماء. فلمح سرب لقالق مهاجرة. تنهد؛ ففاضت عيناه بدموع ساخنة.

أحلام صامتة

على شاشة التلفاز شاهد مضيق "جبل طارق". فاستيقظت أحلامه! تنهد؛ وأغمض عينيه.
مهرولا التحق بأصدقائه في الشاطئ. ركبوا القارب. وبعد بضع ساعات عبروا البحر!
حصل على عمل بإحدى الشركات. جمع مالا كثيرا. فاشترى سيارة. وعاد إلى وطنه؛ وقد ظهرت عليه آثار نعم الله.
انتبه إلى الشاشة؛ فسمع المذيع يقول: نهاية النشرة. ألقاكم على رأس الساعة القادمة.

عبق كوباني

دروب المدرسة ... أعيدوا لي أناشيدي الأولى!(الأخير)

حسين محمد علي/

استطاع المصريون بأساليبهم الناعمة، وبما يملكون من روح الدعابة والنكتة من جذبنا عبر نشاطات جذّابة لاقت قبولاً كالغناء والرسم والتمثيل والخروج بنا إلى البساتين في نزهات تحرّرنا من ضيق المقاعد والواجبات المدرسية .

ومرة أخرى تجددت معاناتنا اللغوية كان علينا هذه المرة أن نفهم اللهجة المصرية ومصطلحاتها، واجتزنا هذا الاختبار بنجاح أيضاً، وفهمنا كلمات (ياعيال .. يا واد ..الناظر .. يا بغم ..غور .. الفصل) وغيرها من الكلمات العامية المصرية.

أذكر من أولئك المعلّمين (**محمود عبده وشوقي وطير البر ومحمد حسنين**)، وللحقيقة فقد كانوا رجالاً طيبين دون قسوة ، وتركوا في نفوسنا مشاعر الحب والعرفان بغض النظر عن الدوافع السياسيّة .

وعلى كل حال فإن هذه السياسة كانت هي البكتيريا التي فسخت جسد الوحدة ، هذه الوحدة رافقها سوء الطالع والحظ العاثر، وبالنسبة لنا نحن - السوريين - فقد كانت سنواتٍ عجافاً لا سياسياً فحسب بل مناخياً أيضاً ؛ فلقد حبست السماء أمطارها ، ومرّت بنا مواسمُ من القحط والجفاف حتى المجاعة ؛ مما دفع الحكومة إلى توزيع مواد غذائية بشكل جزئي محدّد على شكل إعاشة من الرز والعدس والتمر والطحين في مشهد فيه الكثير من الامتهان والمذلّة .

ومع توسُّع مساحات السكن ازداد بناء المدارس ، ففي بداية الستينات بُنيت مدرسة اعدادية عُرفت شعبياً بالمدرسة السوداء ، فقد أُستخدمت في بنائها الحجارة السوداء ، وقد درستُ فيها . ثمّ مدرسة للبنات، وتحوّلت فيما بعد إلى مقرّ لحزب البعث ! وتقابل مبنى البلدية . وفي جبل الهجانة بُنيت مدرسة كبيرة هي مقر ثانوية البنين . أمّا قبل ذلك فلم تكن هناك ثانوية في البلد ممّا اضطررت أنا وغيري للانتقال إلى حلب لمتابعة الدراسة في المرحلة الثانوية عام 1969 م.

وبالعودة إلى عقد الخمسينات أذكر كانت المدرسة في أحواش عاديـة ، فقد كـانت دار (**محمد بديع**) إحداها ، كمـا روت زوجة أخي (**زليخة**) ، وكانت قد درستْ فيها .

ففي إحدى السنين وبشكل مؤقّت كنت أرى الطلاب يرتـادون دار (**شيخموس**) شمال بيتنا في طريق المحطة .

أمّا الأرمن فقد كانت لهما مدرستان خاصتان؛ الأولى كانت في بداية شارع السراي مع كنيسة الأرمن ، وموقعها اليوم هو بيت (**علي الحاج أحمد**) وكانت تُسمّى(خريميان) وهو اسم مدرسة الأرمن . أما الثانية فقد سُمّيت (أسامـة بن زيد) الخاصة ، وموقعها يشغله منزل (**إبراهيم خليل راسم**) وسط السوق ، وقد عمل شقيقي **بوزان** معلّماً فيها لأربع عشرة سنة مع لفيف من الشباب الكرد ، منهم (**محمد علي عثمان ونظمي نبو**) وقد انتهى التعليم فيهما مع أواخر الستينات وبداية السبعينات؛ بسبب تضاؤل الأرمن في البلدة ورحيلهم إلى منافي جديدة ، وللتاريخ فإن تمويل المدرستين كان من قبل رجل

أرمني ثري عاش في أمريكا، واسمه (**أواديس صرافيان**)، كانت باسم ولده قبل أن تعرّب الدولة اسم المدرسة إلى (أسامة بن زيد)، وكان التدريس فيها باللغتين العربية والأرمنية . كان يُلاحظ ضعف إقبال الأرمن على المدارس ؛ بسبب الإحساس الذي يلازم الأرمن تاريخياً ، وهو القلق من التهجير، وهذا أيضاً ينطبق على الكرد ؛ وسببه قصور الوعي الاجتماعي والظروف المعيشية الصعبة وارتباط سكّان البلد بالعلاقات الزراعية الريفية التي تحتاج إلى أيدي عاملة ومتابعة الأعمال الزراعية وعدم تشجيع الحكومات على التعليم في مناطقنا وإهمالها الممنهج .

ولا بدّ من التلميح أنّ طلائع أبناء البلد الذين انخرطوا في سلك التعليم كانوا خجولين ومحتشمين، وقد عملوا في التعليم بشهادات لا تتجاوز (البروفيه)؛ أي الكفاءة ، وأحياناً (السرتفيكة) ، أذكر منهم **(فندي فندي ، عبد الكريم عبدالله ، يحيى باقي ، بوزان محمد علي ، عمر شريف ، نظمي حسن نبو ، عثمان علي أوسي) .**

وبالعودة للمرحلة الإعدادية فلم يكن بيننا في هذه المرحلة أيّ طالب أرمني أو سرياني، وكان الإقبال على المهن من أولويات الأرمن، حيث تُورث المهنة للأبناء . أمران حيويان بالنسبة للأرمن : **الأوّل** تعلُّم اللغة الأرمنية في مواجهة الخوف من الذوبان في المحيط. **والثاني** هو إنعاش ذاكرتهم بشكل دائم بما حصل لهم من مذابح وتهجير على يد الأتراك وحرصهم على إحياء المناسبات المتعلّقة بهذا الحدث الجلل في تاريخهم . ولعلّ من أكثر المناسبات إيلاماً هي المناسبة التي تصادف الخامس والعشرين من نيسان ؛ ذكرى المذبحة المريعة التي انتهت فصولها في دير الزور، حيث ينظم الأرمن مواكب كبيرة من أرض شتاتهم إلى ذلك الموقع كل عام، حيث شهد الفرات الفصل الدموي الأخير، حين طافت على مياهه مئات الجثث من الأطفال والنسوة والشيوخ ، كان ذلك عام 1915 .

وأعتقد أن التاريخ الإنساني يغطي عينيه خجلاً من هول هذه المذابح بحقّ الشعوب الصغيرة المسالمة في عالم تعربد فيه الفيلة الجامحة المنفلتة .

فسقياً لتلك الأزمنة التي عشت فصولها على هذه الأرض !

سقياً لأولئك المعلّمين الأوائل الذين وضعوا أقدامنا على طريق النور !

سقياً للمدرسة الريفية بشجرها وباحتها ونوافذها المفتوحة على حدائق الطفولة !

سقياً لليد المعروقة الفنّانة بد نجمي فندي الذي كان حارس مملكة الماء والشجر والأفياء في المدرسة ! ولكرديج الآذن الذي كان ينهرنا إذا رمينا قصاصة ورق في الممرات !

سقياً لرفاق الطفولة الرائعة المشاغبة ! بعضهم رحلوا للأبد وظلّوا صغاراً ولم يكبروا ، وبعضهم ضاعت بهم الدروب بحثاً عن الرزق وبعضهم لم يبرح المكان!

سقياً للدروب الموصلة للمدرسة وللوادي الذي كان يفيض مجنوناً يؤخّرنا عن المدرسة!

سقيًا لتلك العصي التي ألهبت أيدينا وأرجلنا ومؤخّراتنا وللوحات الورقية التي كانت تُعلَّق على صدور الكسالى بكلمة) كسلان(، ويقفون أمام التلاميذ مطأطئي الرؤوس، فلقد علّمتنا تلك العصي أبجديّة اللغة و الحياة !

سقياً لمعلّمينا من خارج المنطقة؛ الجنودِ المجهولين:

محمّد أديب قطان ومعلّم مادة الزراعة **إبراهيم** القادم من جبال القلمون من عسال الورد لقبناه بـ (كاجالو)، **ومحمود حافظ** الفلسطيني الطيب الودود، و**محمد حموية** الذي سيكون أستاذي في الجامعة فيما بعد، **وعمر منصور** و **مصطفى قوقو** و **فياض حاج جمنتو** وآخرين ، وأعتذر من الذين غاضت أسماؤهـم بعيدةً في عتمة الذاكرة ، لهم كل التقدير والعرفان،فأنا وكلّ جيلي في ديمونة أبديّـة لهـم !

موتى السعادة الغامضة «صديقة المحتضرين»

مصطفى تاج الدين الموسى

مرّة ثانية، انحنى الطبيب عيسى على جثة المريض العجوز، وتأمل ملامح وجهه مجدداً، ما تزال الحيرة تعصف برأسه، وجه العجوز المتوفى منذ ساعات قليلة، كان ينضح سعادة، وكأن صاحبه قد عاش فرحاً عظيماً لا يوصف، في الدقائق الأخيرة قبل وفاته، لم يعثر الطبيب عيسى على تفسير لهذه السعادة الغامضة، المرسومة على الوجه الميت، سرعان ما كتب على الأوراق بعض المعلومات الطبية، ثمّ ناولها إلى ممرض يقف جانبه، وقبل أن يخرج صافح معزياً حفيد العجوز الميت.. وواساه بكلمات قليلة، ثمّ خرج متوجهاً إلى غرفته في الطابق الثالث من المستشفى.

رمى جسده على الكرسي وأشعل سيجارة، كان يفكر وهو يرسم بقلم بين أصابعه – شارد الذهن – خطوطاً مائلة، لا معنى لها، على ورقة فوق طاولته.

يدير الطبيب عيسى البالغ من العمر ستة وأربعين عاماً منذ سنوات هذا المستشفى القديم، غير البعيد عن مدينته الصغيرة في شمال البلاد، والمخصص عموماً للحالات المرضية الميئوس من شفائها، حيث يتم عادة تحويل المرضى –من المسنين غالباً–الذين يوشكون على الموت إلى هنا، من مستشفيات المدينة، حيث لا يمكثون طويلاً، لأنهم يموتون بعد أيام، أو أسابيع، في أفضل الأحوال.. وخلال سنواته هنا صار الطبيب عيسى وبقية الممرضين، أصدقاء دائمين للموت الدائم.

فكر كثيراً وخطوطه المائلة تتكاثر على الأوراق أمامه، فكر في وجوه الموتى في المستشفى وقد طرأ عليها تغيير غير طبيعي، وغامض، في الآونة الأخيرة، انتبه لهذا التغيير بعد تكرار الحالة ذاتها مع عدة موتى من المرضى، سابقاً كانت وجوه المرضى من الموتى يخيم عليها الحزن والتعاسة والألم، لكن مؤخراً، بدت له وجوه الموتى الجدد من المرضى تنضح سعادة، مع ابتسامات واسعة، وثمّة فرحٌ هائل يمتد على ملامح الوجه، احتار الطبيب عيسى في أمر دقائقهم الأخيرة، تساءل كيف كانت تلك الدقائق حتى ماتوا سعداء جداً! لم يعثر على جواب بينما حيرته تزيد من اضطراب روحه.

بعد أن طرقت على بابه، دخلت الممرضة "نوال" مكتبه، وأخبرته عن مريض جديد دخل المستشفى تواً، ولا بد من الاطلاع على حالته.

بعد قليل كان الطبيب عيسى قد فحص المريض العجوز الجديد، طلب من الممرضة نوال إعطاءه أدوية معينة في أوقات محددة، مسح بلطف على جبين المريض العجوز ومضى ليخرج... وجه هذا المريض الجديد كان داكناً، بملامح غائرة، عابسة وغاضبة، تعيسة للغاية، ولكن عندما توفي بعد يومين، انحنى عليه الطبيب عيسى ليشاهد على وجهه أسراب السعادة تحلق بين ملامحه، وابتسامته اللطيفة تمتد من طرف أذنه الأولى إلى طرف أذنه الثانية، لقد كانت أوسع ابتسامة يشاهدها الطبيب في حياته، وكالعادة لم يعرف سر تغير ملامح هذا العجوز، من كآبة مريرة إلى فرح غامض لا تفسير له.

في الليل تقلب الطبيب كثيراً على سريره وقد أرقته تلك الأسئلة، الأسئلة الغامضة التي لا تدخل عادة هذا المستشفى القديم والبعيد، الأسئلة التي تدور حول سرّ الوجوه السعيدة للموتى في المستشفى، لم يعثر على جوابٍ يمنحه فرصة النوم لساعة واحدة.

في صباح اليوم التالي نزل الطبيب إلى باب المستشفى، كان نشيطاً على الرغم من عدم نومه، كانت الأفكار تسيل بغزارة في عقله، شعر أنه صار قريباً من حل لغز سرّ السعادة على وجوه الموتى، أخذ سيارة أجرة من أمام باب المستشفى، وطلب من السائق التوجه إلى سوق المدينة، من نافذة السيارة تأمل الشوارع والأبنية والناس، أحس أن المدينة قد تغيرت كثيراً.. تأكد في سره أنه قد هجر هذه المدينة منذ زمن طويل دون أن ينتبه.

يزور الطبيب عيسى المدينة على فترات متباعدة، يمضي أغلب أيامه في المستشفى، ويقيم داخلها في غرفة مخصصة له، وخصوصاً أنه في السنوات الماضية، بدأت علاقاته تتقلص مع العالم الخارجي إلى حدودٍ متواضعة.

بعد أن تجول بين المتاجر في السوق، اشترى عدة آلات تصوير من النوع الصغير جداً، والحديثة، ذات التقنيات العالية، وعندما رجع إلى المستشفى، فتح أوراق المرضى على طاولته أمامه، راجع كل الحالات، حاول بحسه الطبي الذي تراكم داخله منذ سنوات دراسته للطب في الجامعة حتى الآن، أن يصنف حالات المرضى من الأكثر خطورة، إلى الأقل خطورة، وتخمين من سوف يموت أولاً، سجل على ورقة صغيرة أرقام غرف معينة، ثمّ انتظر حتى المساء ليتوجه إلى غرف أولئك المرضى، متحججاً بالفحص الطبي الروتيني المعتاد لكل مريض.

في مثل هذا الوقت أغلب الممرضين يذهبون إلى الغرف المخصصة لهم، لنيل قسط من الراحة، بينما بعض المرافقين للمرضى يتوجهون لمقهى المستشفى، أو الحديقة في الخارج، ليثرثروا مع بعضهم بعيداً عن المرضى.. وبهذا تصير غرف المستشفى وممراتها شبه فارغة.

استطاع الطبيب عيسى دسّ آلات تصويره الصغيرة خلسة، في عدة غرف حول عدة مرضى، دون أن ينتبه له هذا المريض أو ذاك، وخصوصاً أنهم في وضع يرثى له، يتأرجحون عابسي الوجوه بين الإغماء والهذيان.. وهم يقتربون أكثر فأكثر من حافة الموت، على حافة أسِرَّتهم.

تمت عمليته بنجاح، رجع إلى غرفته ونام حتى وقت متأخر من اليوم التالي، عندما استيقظ اضطر للخروج من المستشفى مع ابن عمه، الذي جاء إليه وأخذه إلى البيت، ليفحص زوجة عمه وقد ساءت حالتها الصحية فجأة.. وبعد أن فحصها وطمأن الجميع على صحتها، كتب لها الأدوية المناسبة، شرب على عجل نصف فنجان قهوة وسيجارة، ثمّ ودّعهم بوجهه الشاحب الذي يوزع الابتسامات الدبلوماسية على الآخرين كيفما اتفق، وخرج ليعود مع المساء إلى المستشفى.

على باب المستشفى أخبره أحد الممرضين أن مريضين قد توفيا ليلة البارحة وفجر اليوم، بعد دقائق قليلة فحصهما الطبيب عيسى داخل المشرحة، في قبو المستشفى، إنها ذاتها، السعادة الهائلة، مرسومة بنفس التفاصيل على الوجهين الميتين.. سعادة لا تشبه الموت أبداً.

طلب من الممرضين تسليم الجثتين لذويها، ثمّ أسرع خلسة إلى غرفتي المريضين في الطابق الثاني والثالث، وهو يلتفت حوله كل بضع خطوات، استطاع خلال دقائق قليلة الحصول على آلتي التصوير في الغرفتين، ثمّ هرول إلى غرفته، وبعد أن دخلها أغلق بابها بإحكام.

كان قلبه يخفق بشدة ويكاد يخرج من صدره وهو يقوم بتوصيل آلتي التصوير إلى شاشة التلفاز، أشعل سيجارة وعبّ منها أنفاساً طويلة، وهو يشاهد الدقائق الأخيرة للمريضين الميتين.

قلبه كان يخفق بشدة، أطرافه صارت ترتجف، تعرق كثيراً ووجهه يتلون وهو يدخن، تسارعت أنفاسه وجحظت عيناه.

شاهد الممرضة نوال، تدخل سراً إلى غرفتي المريضين في وقت متأخر من الليل، أو فجراً، تغلق خلفها الباب بإحكام، تقترب من المريض، لتحقن له الوعاء البلاستيكي المعلق على عامود السيروم بأدوية معينة، يبدو أنها تسرع موته، دون أن يعرف المريض، ثمّ تُخرج من جيبها مسجلة صغيرة، تضغط على زرها فتنبعث موسيقى هادئة وجميلة في المكان، تنحني على المريض وهي تبتسم له ابتسامة عذبة، ثمّ تقبله بهدوءٍ على شفتيه قبلة طويلة، قبلة شهية، من الوارد أنه لم يحصل عليها في حياته، رغم أنه تخيلها كثيراً، تبتعد قليلاً عن سرير المريض شبه العاجز عن الحركة أو الكلام... تفرد شعرها الطويل أمامه، وتبدأ بالتمايل والرقص، ثمّ تبدأ بخلع ثيابها تدريجياً قطعة قطعة، ومع استمرار رقصتها مع الموسيقى، وحركاتها اللينة أمام المريض الذي يحتضر، تتعرى كلياً أمامه خلال دقائق جميلة تبدو مثل أحلام ألف ليلة وليلة، أما المريض الذي يمد أصابعه المرتجفة بوهن إليها، وكأنه يريد أن يلمس حلماً لطالما تمنى أن يشاهده في حياته، سرعان ما يلفظ أنفاسه مبتسماً، بعد أن أشرق وجهه من عتمة المرض، يموت، وقد تركت الرقصة العارية للممرضة نوال وقبلتها على شفتيه، غيوم السعادة تحيط بملامح وجهه.

ذلك المريض مات بعد دقيقة ونصف من تعريها الكامل في رقصتها، هذا المريض مات بعد سبع دقائق من تعريها.. اختلف قليلاً حال صمود ما تبقى من حياتهما أمام عريها.

في الغرفتين وبعد أن تتأكد نوال من موت المريض، تقترب من سريره حافية، لتستلقي جانب جثته، وتحضنها إلى صدرها العاري قليلاً، تبكي بصمت، ثمّ تنهض ـ وكأنها قد أتمت مهمتها التي جاءت إلى هنا من أجلها ـ لترتدي ثيابها بسرعة، وتدس المسجلة الصغيرة في جيبها، وتخرج من هنا خلسة، دون أن ينتبه أحد لها.

لم يفهم الطبيب عيسى لماذا تفعل الممرضة نوال هذا، تأكد بعد عدة سجائر، أنها أرادت أن تمنح المرضى الميئوس من حالتهم نهاية جميلة، نهاية حياة تساوي الحياة بأكملها.

نوبة كآبة جديدة هجمت على روحه وقضمت قلبه، وهو بالكاد يخرج قليلاً من نوبات الكآبة في حياته.

استنشق هواء المساء الخريفي، وهو يقف أمام نافذته، كانت الشمس تغرب ببطءٍ مثل سلحفاة، رمق بصمت وهو يدخن تلك الأبنية البعيدة للمدينة التي هجرها منذ سنوات، تأمل المدينة وكأنه يتأمل حياته، حياته التي هجرها أيضاً منذ سنوات، هناك، بعيداً، في أفق الغروب، شاهد امرأة عارية ترقص فوق المدينة، وفوق حياته، لتجعل الموت فوق المدينة وفوق حياته، ترفاً جميلاً...

تنهد وهو يشيح بوجهه عن نافذته، اتصل بالممرضة نوال وطلب منها على سماعة الهاتف أن تأتي إليه، ثمّ بدأ يرتب كلماته بعناية داخل رأسه.

جاءت نوال بعد دقائق قليلة وجلست أمام مكتبه.

سكب لها ولنفسه كأسين من الشاي، كانت الأبخرة تتصاعد من الإبريق على طاولته، لتنتشر كضباب في المسافة التي تفصل بينهما، حكى لها بكلمات هادئة من بين أبخرة الشاي، كيف اكتشف سر الوجوه السعيدة للموتى في المستشفى، كان يحدثها بصوت عميق، ووجه شاحب، وعينين ذابلتين، والكآبة تتجول على ملامح وجهه.

شهقت نوال أثناء حديثه، وصفعت وجهها بكفيها، وكأنها تريد أن تخفي عينيها عنه، بكت وجسدها يرتجف بشدة، ويتقلص على الكرسي، نهضت لتمشي في غرفته وتتعثر بالأشياء، وهي تهذي بخجل، وألمٍ شديد يمزق روحها، ويذبح أحشاءها، لم تتجرأ على النظر في عيني الطبيب، قالت وكأنها تتحدث مع نفسها، بكلمات متلعثمة ومضطربة، ودموعها تسيل على خديها:

- أنا لست قاتلة، أقسم لك، بكل الأحوال كانوا سوف يموتون بعد أيام قليلة أو ساعات... أردتُ أن أمنحهم نهاية جميلة، تنسيهم أوجاع حياتهم كلها، تنسيهم مخاوف الموت، لقد كنت مجنونة، صار عمري ستة وأربعين عاماً، لا أحد أحبني، ولا أحد لمس جسدي، أو شاهده عارياً، أعرف أنني مجنونة، قررت منذ أشهر في هذا المستشفى الكئيب، أن أمنح جسدي هدية للذين على وشك مغادرة الحياة، أنا لست قاتلة، قد أكون مجنونة لأنني جعلت من جسدي العاري خاتمة قصيرة وجميلة، لحيوات طويلة وبائسة... أنا في هذا المستشفى منذ خمسة وعشرين عاماً، صديقة للمحتضرين وصديقة للمرضى، وجسدي صديق للموت، قد لا تفهم كلماتي أو مشاعري، أنا لم أستطع أن أفهم نفسي، لكنني متأكدة أنني لست قاتلة، أرجوك... لا تخبر أحداً بسري...

انهارت على كرسيها تشهق بشدة، وهي تنشج بكاءها بصوت عالٍ، وتكاد تختنق.

اقترب منها الطبيب عيسى، وربت على كتفها من خلفها، أشعل لها سيجارة وناولها إياها بلطف، لتدخن علّها تهدأ قليلاً، قال لها وهو يلتفت ليتأمل حلول الليل من نافذته، وكأنه يتحدث مع الليل لا معها:

- أنا أيضاً في مثل عمرك، أمضيتُ سنواتي بين المرضى والموتى، هجرتُ المدينة منذ وقت طويل، وبعد كل هذا العمر... لم ألمس جسد امرأة، ولم أشاهد جسد امرأة عارية، كم هي شقية حياة الإنسان التي تستمر دون أنثى عارية...

يتبع في ص7

واحة الغريب

عبدالله عيسى

أشبهُ بجرذٍ تائهٍ في سجنِ النساءِ
تطاردُهُ الشّتائمُ و الملابسُ الداخليّةُ المتّسخةُ ، و الأحذيّةُ.
وحدُكَ الآن تقيسُ المسافةَ بين ظلّكَ المرتجفِ على الجدارِ
و الضوءِ الذابلِ بين عينيكَ
في الزاويةِ المعتمةِ.
ما الّذي تفعلُهُ الريحُ في جيبِ بنطالِكَ الممزّقِ ،
المبلولِ بخوفِكَ من لسانِ السجّانِ الطويلِ ،
و قبضتيهِ الكبيرتين.
ما الّذي كان يجعلُ المارّةَ
في شوارعِ المدينةِ لا يعتذرون كلّما ارتطمتْ أكتافُهم مسرعةً بصدرِكَ النحيلِ ،
و أصدقاؤُكَ الطيّبين مثل نكتةٍ ساذجةٍ يبتسمون
لدوريّةِ الأمنِ الّتي اصطحبتْكَ إلى حيثُ لا شجرةَ تصعدُ معها إلى النهرِ ،
و لا امرأةً تتبعُها كلّ صباحٍ لتندمَ في المساءِ أنّك لم تقلْ لها : صباحُكِ قلّ يا أميرة.
لا شيءَ هنا يدلّ على أيّ شيءٍ هناك
أيّها الحلزونُ الّذي خلعوا بيتَهُ عن ظهرِهِ.
.....

لا أزالُ أحبّك
بين المرايا الّتي هرمتْ في بيوتٍ تباغتُها الحربُ في ما يدوّنه العابرون ، و بعض الرواة ،
ومغتنمو الفرصِ الضائعةِ.
مثل ريحٍ على عجلٍ تتعثّر بالسرو فوق التلالِ البعيدةِ ،
كنتُ أجيئُك
بالقبّراتِ الّتي داهمتْني ،
و خوفِ النجومِ الّتي سقطتْ في الغديرِ بلا أثرٍ ،
كلّما التفتتْ لي يداكِ.
و كنتِ بنشوةِ سنبلةٍ تنضجينَ ظلالَكِ بين السواقي الّتي لم تعدْ تقتفي خطوتي ،
و المراسي الّتي صدأتْ في مرافئ
ما زلتُ فيها غريباً
كأجراسٍ طيفي الّتي غرقتْ في دموعِكِ.
ليس ضبابُ الرحيلِ الّذي اسودّ في دمِنا فجأةً ،
لا ارتباكَ الشفاهِ الّتي علقتْ في شبّاكِ الجفافِ ،
و لا أنّة الحلمِ حين نفيقُ على غفلةٍ من أصابعِنا في سريرين في بلدين غريبين .
بل لم يعدْ أحدٌ ما يرانا نطيلُ العناقَ قريباً من الديرِ في الليلةِ السابعةِ .

لأنك استثناء.

غيداء شفيع ابراهيم

بَينَ الضُّلُوعِ خَافِقٌ
أَبَى ألاَّ يَهدَا،
فَأَشعَلَ الحُب نَاراً واستَعَرَّ.
مَاذَا أَقُولُ؟ بِرَبِكُم
فَلَا عَادَ يَكفِي وَصفُكِ
لَا نَثراً وَلَا شِعراً،
أَنتِ التَّي تَنحَنِي لِصَبرِهَا الجِبَاهُ خَجَلاً
فَلَا بَعدَ صَبرِكِ غَالِباً وَمُنتَصِراً؛
عَهدٌ مُقَدَسٌ أَنتِ
وَأَنتِ مَن سَالَ النُّور مِن وَجنَتَيكِ وانهَمَرَ.
فَإن كَانَ عُمري جَدِيراً بالفِدَاء
فَهَاكِ استَلِمِي العُمرَ.
طُوبَى لَكِ
وَطُوبى لِمن كَانَ غِيَابَهَا قَدَراً
وَلَكنَّ طَيفَهَا حَضَرَ.

تتمة القصة

لم تنتبه جيداً لكلماته، ولم تلمح دمعته الواقفة على زاوية عينه، لكن الطبيب شعر أن الليل في نافذة غرفته انتبه لكلماته التعيسة، كانت نوال ما تزال تهذي مقهورة، وتتوسل له ألا يخبر أحداً بسرها.
شعرا معاً أن هذا المستشفى قد ضاق عليهما فجأة، وتحول لعلبة كبريت، وهما مسجونان فيها، مثل حشرتين بائستين.
- لا تخافي، إنه سرنا يا نوال، أنت إنسانة نبيلة... أنا متأكد، أولئك الموتى يتحدثون الآن عنك بسعادة في العالم الآخر، وهم ممتنون لما فعلته لأجلهم، لقد فتحت لهم طريقاً جميلاً وسعيداً إلى العالم الآخر...
قال لها وهو يهزها بقوة من كتفها، ليمنحها بعضاً من الثقة بنفسها.
فتح باب مكتبه وهمس لها وهو يبتسم في وجهها:
- تصبحين على خير...
خرجت من مكتبه وظلت تلتفتُ إليه حتى نهاية الممر الطويل، ظل واقفاً على بابه يبتسم لها إلى أن اختفت.
استلقى على سريره، وتأمل لساعات طويلة صوراً من حياته، تسارعت تباعاً على السقف، مئات الصور الصامتة والشاحبة، لحياة شعر أنها كئيبة، دخن كثيراً...
نهض واقترب من نافذته، وتأمل أضواء المدينة من بعيد، سمع أحاديث غير واضحة لأناس يمضون الآن وقتاً جميلاً في سهرات مشتركة... تنهد، تلفت بهدوء حوله، رمق أشياء غرفته كلها، الغرفة التي عاش فيها سنواته الأخيرة، شعر أنها حياته كلها، وهنا تأكد أن حياته مجرد قفص، قفص وضعه القدر جانب المحتضرين.
جرّ رجليه بوهن ليخرج من غرفته مع منتصف الليل، وزع ابتساماته الشاحبة على بعض المرضى ومرافقيهم هنا وهناك، نزل السلالم متعباً إلى غرفة الصيدلية في الطابق الأول، وطلب من الممرض المسؤول عنها بعض الأدوية، ووعاءً بلاستيكياً مع أنابيب ومصل وحقن، ثمّ مضى مبتعداً.
عندما انتبهت الممرضة نوال إلى أن الطبيب عيسى قد مات على السرير، أطلقت صرخة عالية بهلع.
في الخارج انتبه لصرختها وصداها بعض الممرضين ومرافقو المرضى، فأسرعوا إلى تلك الغرفة مستغربين أمر تلك الصرخة، في هذا الوقت المتأخر من الليل.
فهموا بعد دخولهم الغرفة أن الطبيب عيسى قد انتحر، ويبدو أن الممرضة نوال أول من انتبه لانتحاره، انحنى أحدهم عليها ليواسيها، ويساعدها على النهوض، أما البقية فقد تجمعوا حول السرير، وانحنوا على جثة الطبيب عيسى.
رمقوا وجهه بصمت، كان وجهاً شاحباً وتعيساً جداً، بملامح غائرة.. وجهاً داكناً يخلو من أيّ سعادة بسيطة.
بعد ساعتين ونصف رنّ جرس الهاتف في غرفة الممرضة نوال، كانت ما تزال تبكي، وجسدها متكور على نفسه تحت غطائها.
طلب منها الطبيب عيسى بكلمات شبه مخنوقة، أن تتوجه بسرعة إلى الغرفة رقم "19" لتساعده بمعاينة أحد المرضى.
أسرعت عبر الممرات المعتمة للمستشفى حتى وصلت الغرفة المقصودة، وما إن دخلتها حتى شهقت بخوف هزّ كيانها، أغلقت الباب وأسرعت إليه، كان الطبيب عيسى ممدداً على السرير في هذه الغرفة التي لا يشغلها أيّ مريض، وقد أوصل لوريده من خلال الأنابيب ذلك الوعاء البلاستيكي، على عمود السيروم جانبه، وقد مزج فيه خليطاً دوائياً قاتلاً، كان وجهه داكناً، وكأن الحياة بدأت تحزم حقائبها وتغادره بهدوء.
كانت شفتاه ترتجفان، همس لها بيأس سحق قلبها:
- مللت من حياتي التعيسة، حياة تبدو لي وكأنها معطف رث ثقيل مرمي على كتفي، أريد أن أخلع حياتي وأرميها بعيداً عني، ساعديني... أرجوك ساعديني...
لم تستطع أن تنطق بحرف، لسانها أصابه الشلل، بينما بكاؤها يعلو، دسّ أصابعه في شعرها وأغمض عينيه مستمتعاً بملامسة أصابعه لخصلات شعرها الناعم، كانت هذه أول مرّة في حياته يلمس شعر أنثى، شعر بأنه عازف يجيد العزف ولو متأخراً على الأوتار، ابتسم ابتسامة شاحبة، ثمّ تمتم لها بصعوبة:
- هيا... شغلي موسيقاك، قبليني، وارقصي لي عارية رقصة النهاية...
انغرست كلماته الأخيرة مثل سكين حاد في صدرها، تأوهت الممرضة نوال، تمنت لو أنها تموت الآن، ترجاها بعينيه الذابلتين أن ترقص له عارية، على إيقاع الموسيقى، إنها خاتمة رائعة يود أن ينهي بها حياته، هكذا خطط تحت سقف غرفته منذ قليل، أن يحصل على ذات النهاية السعيدة، التي حصل عليها الكثير من المرضى هنا في الآونة الأخيرة، قبل وفاتهم.
تراجعت عن سريره لتسقط أرضاً، صوت بكائها كان أعلى من توسلاته، شتمت نفسها وشتمت حياتها وهي تصفع وجهها بقسوة.
بدأ جسده يتشنج ويتلوى ألماً على السرير، احتقن وجهه وكأن الأكسجين ما عاد يصل إلى رئتيه، توسل لها بصوت خافت أن تمنحه تلك النهاية، التي يريد أن ينهي حياته بها، لكنها كانت على أرض الغرفة غارقة في بكائها، اختنقت كلماته في حنجرته، هجم عليه الموت بوحشية، دون أن يكون أمامه موسيقى، أو امرأة عارية، أو رقصة جميلة، أو قبلة شهية، كما تخيل وهو يتأمل ليل المدينة من نافذته، قبل أن يعد المزيج الدوائي السام منذ ساعات قليلة.
صرخ بها وهو في أنفاسه الأخيرة، ألا تحرمه الموت الجميل الذي أجادت صناعته للآخرين، الموت الجميل الذي تعجز الآن عن صنعه له، لكن كلماته كانت غير مسموعة بسبب ضجيج بكائها.
غص في نفسه الأخير، ازداد شحوب وجهه عندما أيقن أنه لن يحصل على النهاية التي أرادها، حسد في خفقاته الأخيرة مرضى لم يخططوا لنهايات من موسيقى ورقص وقبلة وعري أنثوي، وحصلوا عليها.
عندما انتبهت الممرضة نوال إلى أن الطبيب عيسى قد مات على السرير، أطلقت صرخة عالية بهلع.
في الخارج انتبه لصرختها وصداها بعض الممرضين ومرافقو المرضى، فأسرعوا إلى تلك الغرفة مستغربين أمر تلك الصرخة، في هذا الوقت المتأخر من الليل.
فهموا بعد دخولهم الغرفة أن الطبيب عيسى قد انتحر، ويبدو أن الممرضة نوال أول من انتبه لانتحاره، انحنى أحدهم عليها ليواسيها، ويساعدها على النهوض، أما البقية فقد تجمعوا حول السرير، وانحنوا على جثة الطبيب عيسى.
رمقوا وجهه بصمت، كان وجهاً شاحباً وتعيساً جداً، بملامح غائرة.. وجهاً داكناً يخلو من أيّ سعادة بسيطة.

لودي شمس الدين

إيزيس لا ضوء للغرق
في كف البحر

تهدهِدُ الماء الزنبق والبنفسج والكون ليس نايا
كشفرات رصاصية مضت السنوات الماضية
جرحت ماء عيني
قلبي كعصا الريح تائه بين أنياب الذكريات العوجاء
عيني دوامة دم تمتد وتتسع حول قرص الكون المُنتظر أبداً
إيزيس لا ضوء للغرق في كفّ البحر ودموع الصخر
الضوء ينشطِر لحبتيّ كرزٍ تحت رماد الغيب
طيرٌ أخضر يصعد على حائط الوقت الناريقدر
طيرٌ رمادي يموت بحبال المطر الثلجية، قدر
طيرٌ يصعد وطيرٌ يموت، إنه القدر
القمر الأسود هلال مكسور فوق وجه العالم المالح
جثث حية في الكهوف
في الغابات والحقول
الأضلع خليج والجسد إناء رُخامي سقط من السماء أول الصبح
السنابل تحلم وأطفال الوطن تُشقق النسائم بالبكاء
فأنا ظلّ عشبي ورغوة زبد حليبية فوق مرايا الحياة
لست مِلك ضحكات أبي ولا مِلك شفتي أمي اللوزية
بعد موتي اقرؤوا القرآن والشعر فوق قبري
واتركوا بخور أصابعي يحترق بأنين الزمان
شراييني مفاتيح حرة تشقى بالبحث عن العزلة
يمامةٌ فوق سرير الله تتحد أنفاسها بالموت المؤجل
بلبل بُني شردته حبات الرمل فوق الجرح
سنوات حديدية، أيام نحاسية والعمر زهرة كاميليا
طيرٌ يصعد وطيرٌ يموت، إنه القدر
الصمت يرتجف كسنجابٍ خلف سنديان المجهول
وكُلّ ما يحيط بي فارغ وهش
ببطء وبأعصابي اليابسة أعترف باللاوجود للأمان يا الله
طيرٌ يصعد وطيرٌ يموت
الحزن نسر يجوع كل فجر
والتين الشوكي يبتلِع أعناق الريحان النحيلة.

آراس حمي

اللاشيء والزمن

غرفة
على سلالم الهنا
اللاشيء وكأسٌ من الصمت
كتاب هنا وكتاب هناك
لا أحد
لا أنا ولا الصوت

بالهدوء تماماً
مع علوم الفراغ في اللامرئي
في النص
مع صورة الغرفة التي
تقتل العالم بأبعادها

ثم تحدث المشاجرة
بين النص والغرفة
ولكن لا صدى
لا شغب
الليل حكمٌ ذاتي للصمت
تلك هي المشاجرة البسيطة
إما / أو / لطفٌ في الشرود
لامبالاة متعالية

كما لم يعد من الممكن
كما لم يكن ولن ...
لا حدث / لا ذات حداثية
مجهول المعلوم ساكن
إما / أو / واللاشيء رشيد

الغرفة غير مصابة بالنرجسية
ترحب بالنوم والشرود
دونما هوية.. بلا وجه تواصلي
التأثيرات الجانبية تافهة
الليل كله هنا
الغرفة تماماً

الولادة بعيدة عن متناول الأيدي
الموت بعيد عن صوت دم القلب
لا نبض ولا مادة أنانية
لا حس بالموت ..لا حياة ترى
الممكن كله عدمٌ مستقر

في هذا الهدوء اللذيذ
ثمة زمن
زمنٌ يغير الصور والآثار
يأتي بالمابعد
يكسر به مرايا الغرفة والهدوء

همسات القلم

السيدة مينا خانم قاضي أمّ الكرد أو السّيدة الأمّ

نارين عمر

ظلمها التّاريخ وظلمها شعبها الكرديّ إذ أهملوا الحديث وذكر عطاءاتها ومحاسنها لنا ولكنّها لم تأبه لذلك، بل ظلّت تنعشنا بنسائم عطائها الوفير وحنانها وحبّها الذي يسع الكون بموجوداته لأنّها كانت أمّ الكرد ومعلّمهم الوفيّة وصديقتهم المخلصة، وما تزال نسائم روحها تهب علينا وتبشّرنا بغدٍ نحلم به وإن طال الأمد، أجل إنّها السّيدة مينا خانم قاضي زوجة الرّئيس القاضي محمد.

ولدت السيدة مينا في مدينة مهاباد في شرقي كردستان في عام 1908م لعائلة كرديّة مرموقة ووطنية هي عائلة حجي حسن خاني أو حسن بك في منطقة موكريان ووالدها هو أحمد ووالدتها كول اندام "Gulendam".

تزوّجت من القاضي محمد وهي في عمر ال 19 سنة في عام 1928 وأنجبا ثمانية أولاد، وبعد زواجها صارت تُعرَف باسم مينا قاضي وكان اسم كنيتها قبل الزّواج اسكندري.

عندما تأسس الحزب الدّيمقراطيّ الكردستاني في شرقي كردستان بزعامة القاضي محمد كانت السيدة مينا من أوائل النساء اللواتي انتسبن إليه لأن الحزب أبدى اهتماماً كبيراً بالمرأة قولاً وفعلاً ومن مختلف نواحي الحياة، وكذلك تأسيس جمهورية مهاباد كأول جمهورية تأسست للكرد في العصر الحديث برئاسة القاضي محمد، وكلنا نعرف مدى اهتمام الجمهورية بالمرأة والدّعوة إلى انخراطها في النّضال السّياسي للدّفاع عن نفسها وقضيتها بغية تأسيس أسرة كرديّة متكاملة الأركان وتكون بدورها أساساً للمجتمع الكرديّ وكانت قبل ذلك أميّة لا تتقن القراءة ولا الكتابة ولكنّها تعلّمتهما فيما بعد وأتقنتها إلى أن أصبحت معلّمة جديرة بالتّقدير والاحترام وفي ذلك تقول:

((طلب إليّ القاضي أن أنخرط في صفوف الحزب والعمل لصالح الجمهوريّة، فأجبته: أنا لا أجيد القراءة ولا الكتابة فكيف لي ذلك؟ فأجابني على الفور: يجب أن تتعلّمي القراءة والكتابة وأن تعلّمي فيما بعد نساء وبنات الكرد أيضاً لأنّك زوجة رئيس الجمهورية وعليك أن تكوني في مركز الرّيادة والقيادة، وأن تقودي النّساء وتساهمي في توعيتهم وتثقيفهم، وأنا واثق أنّك ستحقّقين ذلك بالإرادة والتّصميم)).

هذا الاهتمام الكبير بالمرأة دفعها لأن تناضل في صفوف الحزب وأوّل عمل قامت به هو إسراعها إلى تأسيس الاتحاد النّسائي الكردستاني في 14آذار 1946م وترأسته بجدارة وثقة ومن خلاله بدأت تدعو المرأة إلى العمل والمشاركة بفعالية ضمن الجمهورية الفتيّة جنباً إلى جنب مع الرّجل، ولأجل تحقيق ذلك دعت النّساء والفتيات إلى الالتحاق بمدارس اللغة وتعلّم اللغة كتابة وقراءة، كما أنشأت ورش خياطة وتطريز لتساهم المرأة في ميدان العمل الفعليّ وقد كان لها ولزميلاتها الفضل الأكبر في خياطة العلم الذي رُفع في سماء جمهورية مهاباد أثناء تأسيسها، وكان لها الدّور الأكبر في سنّ قانون التّكافل الاجتماعي والذي من خلاله يضمن الجميع حقوقهم وكانت ترى أنّه على النّساء جميعاً أن يسعين ويكافحن من أجل حقوقهنّ للتّوصل إلى إيجاد حلول مرضية لقضاياهنّ ومشاكل المجتمع ككلّ. كانت تفعل ذلك من خلال الاجتماعات المتواصلة والدّراسات والمحاضرات التي كانت تلقيها في عموم مناطق الجمهورية ومن خلال عملها مع بعض النّساء الأخريات كمدرّسة ومعلّمة في المدارس الكردية، وقد خرّجت الكثير من النّساء والفتيات وقتها وقدّمتهنّ إلى صفوف المجتمع الأولى ومن ضمنها بناتها اللّواتي أصبحن رموزاً لنضال المرأة وعملها مثل أمهنّ تماماً.

سعت السّيدة مينا إلى إصدار المجلات والجرائد الخاصة بالمرأة لذلك عملت مع صديقتها كوليزر شكاكي على إصار مجلة باسم "هلاله" من خلالها دعوا إلى توعية المرأة وفتح مدارك وعيها وإبداعها في شتى المجالات.

تتميّز بموقف شجاع وقويّ حين تبرّعت بكل مصاغها من الذّهب والفضة وغيرها لصالح جمهورية مهاباد ما دعا باقي النّسوة إلى انتهاج سبيلها والتّبرع بمصاغهنّ ويعدّ هذا الموقف دليلاً قاطعاً على أنّ القائد أو المسؤول وفي أي مجال

منصب إذا كان صالحاً وجديراً بمكانته فإنّ الرّعية سيحذون حذوه.

بعد انهيار جمهورية مهاباد واستشهاد الرّئيس قاضي محمد ورفاقه تابعت أمّ الكرد الحنون مسيرتها نضالها ووفائها وعاهدت أن تناضل حتى آخر يوم في عمرها، وبدأت تربي أولادها على نهج أبيهم ورفاقه فعاهدها الأولاد أن يكونوا أوفياء لوالدهم ورفاقه وللكرد وكردستان وقد برزت منهم ابنتهم عصمت التي ناضلت بإخلاص وتفان في صفوف الحزب الدّيمقراطي الكردستاني وكان من ثمار نضالها الذي كان أغلى هدية منها لوطنها وشعبها. بعد استشهاد القاضي وضعت السّيدة مينا دارها بكلّ ممتلكاته في خدمة أعضاء الحزب والمناضلين والبيشمركة، وتمكّنت من إنقاذ وخلاص العشرات منهم من حبل مشنقة النّظام الإيراني في عهد الشّاه بهلوي وفي عهد الخميني كذلك، لذلك تعرّضت مع أسرتها إلى مختلف أنواع التّعذيب والإهانة والمضايقات من قبلهم، كما تعرّضت للسّجن عدّة مرّات ومن ضمنها في عام 1986 وظلّت في السّجن لمدة عام وتعرّضت لتعذيب ووحشية وكانت قد تجاوزت السّبعين عاماً من العمر، وحين سئلت عن سبب اختطافها من قبل جهاز أمن النّظام الإيراني أكّدت أنّها تجهل السّبب، ولكنّها كانت تقول إنّ رجال النّظام يخبرونها على الدّوام أنّه لو لم يكن هناك رجل اسمه القاضي محمد ولو لم يؤسّس للجمهورية لما كان هناك في إيران قضية الكرد وكردستان، بل ووضعها النّظام تحت الإقامة الجبرية ومنعوها من السّفر إلى خارج إيران وعندما استشهدت ابنتها عفت قاضي في السّويد منعوها من السّفر إلى هناك أو من إجراء مراسيم رسمية لعزائها.

ظلّت مخلصة لزوجها الرّئيس قاضي محمد إلى آخر لحظة من عمرها المديد لأنّها لم تكن تراه الزّوج فقط، بل كان لها الصّديق والحبيب المخلص والوفيّ، وفي ذلك تقول:

((كان القاضي الزّوج الوفيّ لي والحبيب المخلص والصّديق الصّدوق، وكان يحبّني كثيراً وعلى الرّغم من أنّني أنجبت له سبع بنات وولد وحيد فإنّه أحبّ بناته كثيراً ولم يحسسني يوماً بذلك، وأقول ذلك لأنّه كان من عائلة عريقة وميسورة الحال وكانوا من وجهاء المنطقة، ومعلوم أنّ الرّجال الأغنياء والوجهاء وزعماء العشائر في ذلك الوقت كانوا يتزوّجون بأكثر من امرأة بسبب ومن دون سبب)). وعن أمنياتها ومطالبها تقول السّيدة العظيمة:

((أتمنّى الصّحة والسّلامة لجميع شبّاننا وشاباتنا والحرّية لشعبنا والاستقلال لوطننا لأنّ هذه كانت أمنيات القاضي محمد)). وعن أمنية أخرى لها تقول:

((أوعدوني وعاهدوني على توحيد الكرد لأبشّركم أنا بدوري بكردستان محرّرة ومستقلة لأنّ توحيد وتحالف القوى السّياسية الكردية هو خير دواء لمآسينا وآلامنا، وإذا تمكّن شعبنا من توحيد صفوفهم فإنّ مسألة تحرير كردستان ستكون سهلة للغاية)). وعن أمنية أخرى لها تقول:

((أوعدوني وعاهدوني على توحيد الكرد لأبشّركم أنا بدوري بكردستان محرّرة ومستقلة لأنّ توحيد وتحالف القوى السّياسية الكردية هو خير دواء لمآسينا وآلامنا، وإذا تمكّن شعبنا من توحيد صفوفهم فإنّ مسألة تحرير كردستان ستكون سهلة للغاية)).

يُذكر أنّها كانت تتواصل مع نساء الكرد في باقي أجزاء كردستان عن طريق المراسلة وتدعو معهنّ إلى توحيد نساء الكرد فكراً وعاطفة ومبدأ لتحرير المرأة وتوعيتها وتثقيفها ومن تلك النسوة حبسه خان نقيب وكوليزر خانم شكاكي وغيرهنّ.

بعد عمر مديد قضته في النّضال والكفاح من أجل قضيّة شعبها ووطنها تغادرنا أمّنا الحنون بجسدها لتبقى لنا الرّوح ترفرف علينا بحبّ وحنان وذلك في 17 شباط من عام 1998م، وقد شارك في تشييع جثمانها آلاف الكرد بمراسيم رسمية وشعبية.

....

المصادر:

Wîkîpediya -*
Kakşar Oremar-*
Mîna Qazî jineke têkoşer bû, -*
Şehnaz Emîn
kurdistan Tv 2015
Siba Fm, bernameya Mêvan, -*

سِفرُ المعاناة: قراءة في الديوان الشعري (شيطان) للشاعر علاء زريفة.

جوان زكي سلو

يقول الكاتب اليوناني الكبير **نيكوس كزنتزاكيس** في رائعته (تصوّف) :

((من أكثر فضائلنا أريحية ينبري أحد الناس واقفا ثم يصيح بيأس:" ضيقة هي الفضيلة، إني لا أستطيع أن أتنفس، الجنة ضيقة وصغيرة، إنها لا تسعني، أسمع الصيحة المتوحشة وأنهض واقفا، ولأول مرة تأخذ المعاناة الصاعدة في داخلي شكلا لصوت إنسان حقيقي... إنها شعار المسيرة، فلا تبدأ إذا لم تسمع هذه الصرخة وهي تخترق أحشاءك...))

هذا حقاً ما فعله الشاعر علاء زريفة في ديوانه الشعري الذي يحمل عنوان "شيطان" الصادر عن دار الدراويش للنشر والترجمة- بلوفديف- بلغاريا، لعام 2020، التي تقع في (133) صفحة من القطع المتوسط. حينما سمع الشاعر الصرخة في أحشائه تنطلق لتخرق الكون وما حولها، صعد أعلى جبل المعاناة كـ سيزيف وراح يصرخ بأعلى صوته لا للخنوع.

سفر المعاناة

من خلال قراءتي استطعت أن ألمس سير خط المعاناة التي سار على دربها الشاعر، لأنه جعل منها سببا للتمرد، فكانت الصرخة أشبه بالصفعات المدوية والتي انتهت بارتكاب جريمته الإبداعية الأجمل بقتل الأب / السلطة/ الواقع/ ببعديه المادي والمعنوي، وجاءت تفريغا لشحنة العنف الموجودة، فحررته الصرخة المتوحشة من أهوائه، وبثت فيه روح التغيير الواعي، الذي يعززه الحضور الجمعي لذوات متعددة حرة ويحاول أن يرتدي قناع الفطري العنيف. يقول في قصيدة بعنوان "الجنرال والنملة" والتي يشير فيها إلى معاناة الإنسان الأبدية:

"الأبطال المعدمون ماتوا/ ولم يبق إلا الممثلون/ لم يبق من أثر الأرض سوى أطلال مملكة وجنود طيبين تركوا أسماءهم في سفر ناقص/ أخفاه الجنرال".

صراع الهوية

هذا الشيطان الذي يسكن الشاعر يثير في نفسه الكثير من التساؤلات، وقد بدا ظاهرا في النصوص الشعرية التي يبحث فيها عن هويته الروحية والدينية، فيرفض الأب كوصيّ، ويرفض الدين كتفسير للواقع، ويرفض الأنثى كأنثى للتوالد فقط، فيحطم بذلك الأسئلة التي لم يجد لها الإجابات، فيقول:

لا تسألني لماذا أقاتل؟

أنا لا أعلم

لا تسألني لماذا سأموت خلف بندقية موجهة وراء جدار ساقط؟

لئلا أموت جوعا؟..

فيغضب الشاعر من كل شيء، يرفضه، تتصارع المكونات في روحه فيتشاجر مع الأب والأم والدين والقيامة وساعي البريد ومع السماء، مع الماء والتراب والنار والهواء، كل ذلك يقولها مرة واحدة، في قصيدته "مخلوق نيتشه المنتظر"، فيقول:

"أتشاجر مع أبي.. أفسد نشوته الأولى.. أتقيأ غثياني العذب .. عرش الملكوت

أقتل حراسة الخمسة.. أعيد لأمي منديل بكارتها

أكابد شيطان الفلسفة محنته.. أرفض الرحم..

أتشاجر مع الهواء.. أنفثه رذاذ معدني المشمع.. أتشاجر مع الماء أسد بابهامي الغليظ ثقب برمودا..".

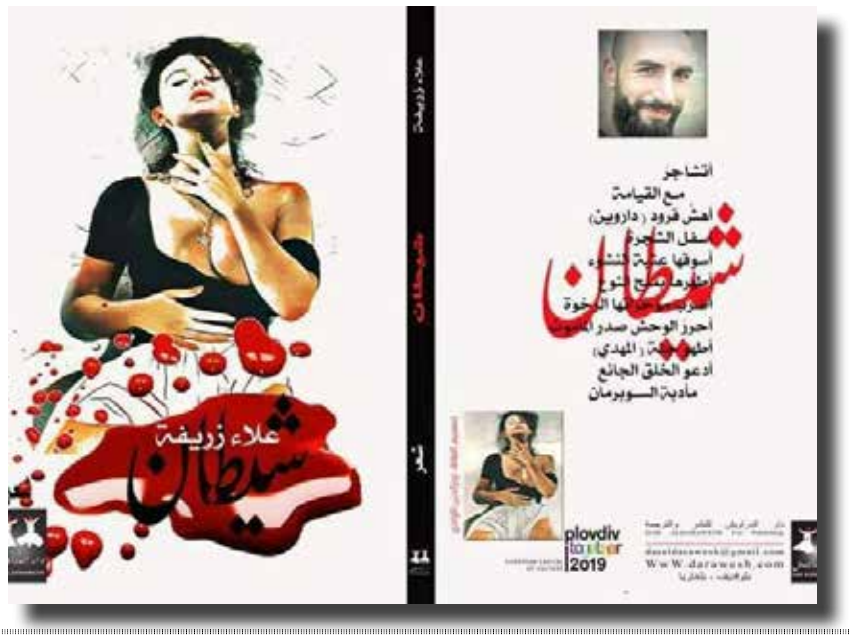

الأنثى السادية

الحب عند الشاعر ساديّ الشكل واللون والمضمون، إنه التجسيد الأنثوي للحياة وللموت، إنه تفاحة آدم التي التهمها من نهد امرأته فأنزلته إلى عالم متخم بالأوجاع، لذلك يبحث الشاعر في قصائده عن المرأة التي تحمل عنه أوزاره لا تحمّله دمها، أن تزيل عنه مضاعفات خوفه، وأن تكسر الإطار التقليدي لنمطية المرأة التي دأب عليها البشر في البحث عنها، أو كما هي موجودة في الواقع، امرأة من دم ولحم، هو يريد امرأة سادية، تحطمه لتخلق منه كائنا جديدا، فتزيح ستارة الأيام، وتزرع العشق في دربه نحو السعادة، إذ يقول:

رولا البغضاء النائمة

تستيقظ على رماد أنوثتها.. تتمطى كقطة عزباء

تجفف قطرات الملح عن وجنتيها

وتقبل ببرود صورة بعلها.

رولا المزاجية المريضة.. تبصق في الهواء شتائمها

تهرش قبل رأسها.. وتشرب قهوتها مثلجة.. بلا رائحة..

إن الصرخة التي خرجت من أعماق وأغوار الشاعر بثت الروح في جسده، والألوان في جسده، فراح ينطلق دون هوادة على طريق الحرية متمردا غاضبا، لينشد بكلمات من نار وغضب قصائد الألم التي انعتق منها في لحظة صفاء ذهنية، ويبدأ بعدها صعوده لتيار الحياة الأليم بفرح البدايات، وقد أفرغ ما في جوفه من غضب.

ديوان «لأنك استثناء» لـ "سلمى جمو" المحرّرة في جريدة سبا

صدرت حديثاً للشاعرة الكردية والمحرّرة في جريدة "سبا"، سلمى جمو، مجموعة شعرية، الأولى لها في الشعر، تحت عنوان «لأنك استثناء»، عن دار ببلومانيا للنشر والتوزيع في القاهرة، بلوحة غلاف للفنان التشكيلي الإسباني، سلفادور دالي.

احتوت مجموعة جمو ثماني وعشرين قصيدة، موزّعة على جزأين، الأول فلسفي والآخر غزلي، إيماناً منها بأن الأدب والفن أكثر هيبة وأكثر إرهاباً للجهل والمجتمعات البدائية من الأسلحة والتطورات التكنولوجية.

ومن أجواء المجموعة:

ذاتَ مساءٍ
تسلّلَ على أصابع القرف
انسلَّ تحتَ ملاءةِ الترقّب
اندسَّ في فراش شهوةٍ حيوانيّةٍ...
أناملُه
مضطربةٌ
شبقةٌ
جبانةٌ...
باتَتْ ترسمُ دوائرَ وهميّة
على جسد طفوليّ،
تتتبّعُ خريطةَ بدنِها
باحثةً عن فجوات
انزلاقاتٍ
فتوحاتٍ آنيةٍ.

مقطع من قصيدة (اقرأ):

سُليمةَ الأمانِ
زمّليني بثوب طيفِك
الفيروزيّ!
ودعيني أختفي في خطوطه
عن وجودي اللاموجود
دونك!
دثّريني بدفء وجنتيك
الياقوتيتين
لأذيبَ بهما صقيعي السعيريّ عداك.
ما لكِ لا تدركين أن هذا القلبَ يَدثُرُ دونَ ضجيجك!

وأن معشرَ العشّاقِ
لا يؤمنون بنبوءة
لا تستمدُّ يقينَها من ملكوتك!
فاِستلي سيفَ الشغفِ من هذا الجسد
ولتكوني كما ألِفتُك
عظيمةً في كرّك وفرّك
على أرض حرب
أنت الأدرى بشعابها.

* سلمى جمو شاعرة وكاتبة كرديّة، من مواليد مدينة كوباني (25 آذار، عام 1992م)، متخصّصة في الإرشاد النفسيّ، من جامعة مرسين التركيّة، تكتب في المجلات والمواقع الكردية والدولية، وتجيد اللغتين العربية والتركية، إلى جانب لغتها الأم.

رواسب اللبن

عندما يأتي الصباح

خديجة بلوش

أفتح الصفحات واحدة تلو الأخرى,أبحث عن عنوان يليق بحالة تترصّدني هذا الصباح,, كل الحروف المبعثرة على رصيف الافتراض داكنة,باردة,لا تلائم ما أشعر به الآن...

ثمّة قصص قصيرة جدا و قصائد تبدو طويلة جدا,لكنها لا تشبه شيئا مما يحيط بي..

أنقر على لوحة المفاتيح على أمل أن تسقط كلمة ما لتثير ما يجول بداخلي و تجعل الحبر يسقط مثلما تسقط كومة أحجار تصدعت عن جبل كان يبدو صلبا غير قابل للانكسار,

نحن ننكسر في اللحظة إلى ملايين الشظايا دون أن تحرّض جراحاتنا غريزة الحبر ليعبّر عما نرجوه فعلا,,

رتبّي حالتك الماضية ..تقول إحداهن بلا مبالاة كأنها تلمّح إلى ما يعمّ الحياة من فوضى لا نولّيها حقها من الاهتمام..

الفوضى فعل دائم مستمر ..لماذا أفكر في ترتيب ما تخترقه إن كنت سأقع لاحقا في فخها المحتمل,,

دعي كل شيء على حاله و لا تلتفتي حتى لخزانة ثيابك التي يعمّها الدمار منذ عقود كثيرة,

سخرية الرد أيضا لا تليق بحالتي الصباحية المتأخرة...

أستيقظ على نفس الصور..غرفة تحيط بها الظلال و جدران تصرخ كل مرة لأغيّر لونها الغريب,,هو لون لا أعرف كيف أصنّفه على أي حال,,

السرير الكبير و أكوام ثياب لا تصلح للارتداء,أغلبها مثل خيمة مهترئة ، كجيوب القلب الذي اخترقته سهام العزلة و صار يرشح نبضا مرتبكا..

و النافذة الوحيدة التي لا تطل إلا على جدار داخلي مغبر,أبقيه مغلقا و أخفي ملامحه بستارة تحمل ما تحمل من ذاكرة ربيع مضى قبل أوانه,

أتعثّر أحيانا بما أسميه لحظات سكينة,,

هي أفضل حالا الآن مما كانت عليه قبل ألف عام,,

النبتة التي بدأت تتلمّس طريقها نحو فضاء يتّسع لجنوحها الكبير..ستثمر لاحقا لا بأس في انتظار قد يطول,انتظار تتخلله لحظات ترقب و مراقبة لتلك الوريقات الخضراء التي تولد كل صباح بإصرار كبير لحياة نراها مجرد وقت ضائع و تعيشها هي كل لحظة بلحظتها دون التكهّن بما قد يأتي لاحقا..

سأكون نبتة تمتد تفاصيلها لتغطّي ندوب الجدار القديم ,

كيف قد يبدو موتها حين تصاب بلوثة إرهاق تضرب جذورها الضاربة في عمق التراب؟؟

أتخيّلها وقد بدأ الاصفرار يدب في قلب الخضرة اليانعة..خيوط واهنة تتسلل بخبث لتضرب قلاع صمودها شيئا فشيئا..

تعصف صورة أخرى بخيالي الصغير..

الأصفر لون الشمس,,لون النضج,,مساحات شاسعة من حقول سنابل تتمايل برشاقة تراقص الريح التي تخطّط لكسرها..و لا تنجح..

لون زهرة عباد الشمس, بكل بذخها و عنفوانها..و لون زهرة أخرى لم يتسنّ لي أن أبحث عن اسم لها يليق بفضولي المتعب,,

ربما أكون الآن وجدت لونا يليق بجدران الغرفة المكتئبة,,لون صيفي يذكّي شرارة الترقّب و يمسح ذاكرة الخنوع,لون الحصاد..

و النبتة الصامدة حين تلقي عن كاهلها كل ما تشبع بلون الشمس فهي لا تكتب بالخط العريض عن موتها المحتمل بل تفتح صفحة أخرى أكثر نضارة لحياة ستأتي بعد حين..

أسأل العابرة التي تنصح بترتيب الفوضى..هل ثمّة ما يمكن ترتيبه بعد كل ما مضى؟

سأنصحها أن تترك كل ما تساقط ليصبح ماضيا بعيدا و إن تبحث عن عنوان يليق بها في ما هو متاح و إن لا تفكّر في ما قد يأتي من فوضى ممكنة...

لا تستدرجي الفراغ إلى محيطك المصاب بوعكة النسيان ,ثبّتي خطواتك على طريق يتجدد كل حين,كوني مثلي,,

تضحك السنابل التي بدأت تنضج في عقلي,و تبتسم الأغصان التي تستمر في التمدّد لتمنح كل ندبة وريقة تغطيها بحب..فيما تتهيأ عناقيد الصبر للتلوّن كي تكون قابلة لتعتق في جرار القلب النقية....

هنا يبدأ الصباح الذي وجد عنوانا يليق بتقلباته المبهمة...

أخبرني بأنك تحبني

ناريمان حسن

إن اتحدنا في أيلول أية سِمفونية سنؤلف؟
ماذا سيحلّ بالعالم لو أننا جمعنا النوط الموسيقية
للحظات معدودة؟
أتساءل إلى متى سنظل نلتهم المفاتيح سريعاً
و نخبئها تحت ألسنتنا اللاذِعة خوفًا؟
في الحقيقة غفرتُ الحماقة
التي مزقت القلب لأجزاء
لأني أيقنت أن الحماقات غير المغفورة
هي من تشكل الأشباح في الذاكرة.

الكناري يُعلمني الغناء
يتمايل في الأرجوحة
يمدني بأجنحة
الكناري في القفص يختزل
الحريات.

أستكين داخل السفن
أغوص في القاع العميق العميق
لأنجو منك
علمني ألا أميل للضوء
العتمة ليست باختراع سيء
لا أشباح ولا وحوش تختبىء
فقط أسرار الوجود الخارقة
في حوزتها
أخبر الشعراء إن صادفتهم في البارات المغلقة،
ألا ينبهروا بعيون الكلاب الشاردة مرة أخرى،
لأنه ما من أحد سمع نباحهم في الليالي إلا وفقد
عزيزاً
أعر الليل القليل من انتباهك
و استمع لموسيقاه الهادئة
هناك ستجدنا معاً.

أخبرني الأسرار الخطيرة
التي تجعلنا رهينة لاعتقالات مروعة
أخبرني بأنك تحبني!

على مقام سبا

ذاكرة كظلّ ترافقني

جان بابيير / النمسا

عندما قرّر الرب أن أتواجد في هذه المتاهة، لم يكن أبي نائماً، وسوس له الشيطان، أمي كانت تدير ظهرها – بناء على رغبته – في الفراش، تجعّد اللحاف بعد أن نزعت الكثير من الثياب، أخوتي نياماً يقبضون على الأحلام، ومن رأس تلك الليلة خرج الشبق كعنوان كتاب، قضما الوجود بهمسات دافئة، لَويا عنق الآهات، سقطت تفاحتان في سلّة أبي،
ومنحت أمي له مواسم العنب وفخذين بطعم الزيتون والملح ونكهة العَرق، اللحاف في حالة سجود وركوع فوق ظهر أبي الذي يشيح بنظراته يمنة ويسرة إلى أخوتي النيام، وأنا نزعت منه ذاكرته لأدوّن وجودي هنا بينكم، كما يعلم جلّكم أنه تأويل لنسج ما حدث في ذلك الوقت، ما كان يجب أن أولد ليلاً لئلا يعشعش كل هذا الظلام في داخلي، قالت أمي: «لم تكن ولادتك سهلة، كأنك كنت تعتصم في رحمي فلا تريد الخروج إلى الحياة» عادة ما أثرثر في كل شيء وأوقظ الصمت بزعيقي، قدماي سبقتا رأسي في النزول، وإلى الآن خطواتي لا تهدأ في الدروب، اختاروا لي اسماً أحببته لكن (كاتب النفوس) لنزعته القومجية ومنسوب العروبة الزائد لديه منحني اسماً ممنوعاً من الصرف، وهكذا أصبح لي اسمان توأمان، اسم من حروف لبنية وآخر من نواة التمر. كبرتُ بسرعة وصرت أطول من شجرة الرمّان في حوشنا، شَعرت لأول مرة بأنني بالغ، لاعبت السر بين فخذي، بدأت ألهو به فيطول ومع انتهاء اللعبة يمخط من عينه الوحيدة ومن ثم ينكمش، نبت لقلبي شاربان يكبران مع كل خطوة أمضي فيها مع الأيام، جسدي نحيل مثل فرع شجرة، ضحكات أخوتي وبُكاء الجدران الطينية في بيتنا، وفي المساء تضع أمي سفرة من الحكايات فنمضغ خبز القصص، هذا حينما أقوم بأسر الذاكرة، لكن في الغربة لا أعرف نفسي مَن أكون، هل أنا ذلك الطفل الذي جاء عنوة إلى الدنيا أم ذلك البالغ الثرثار؟ لي حنين للذّكريات، أعيش ثنوية الحياة، أركل الحاضر ويحتضنني الماضي، كما شراكة اسمين يتقاسمان جسدي، من أنا؟ أُبحث عني داخلي، لأجد صوتي، صوتي هناك وليس هنا، ماضٍ في الليل يضع ذراعه تحت رأسي ويشاركني وسادتي. قبل أن يخلو وقتي من التكهنات والتوقعات كانت هناك أيام مظلّلة كشجرة أختبئ خلفها عندما أشعر بالتعب، أسقي ظلّي من ما مضى، من عمر على حافّة الحلم كمن يدوّن نبضه على صفحة ماء، الصور تشتعل، التفاصيل تقف بكامل هندامها أمامي، مسدت لحاي، ما زلت بالغاً لم أبرح طفولتي، الصور كعشب ينمو في مرج مخيلتي الخصبة، وأنثاي تمسح بضحكتها قلب المساء ووجه الحكاية، وحكاية خالتي أم «معمو» كلما كانت تتشاجر مع القرية، وتنادي ابنتها جيهان:
– هاتي السفرة.
تأكل وتزداد شراهة ثم تشتم النساء و الأولاد قائلة «سأعيدكم إلى المكان الذي خرجتم منه يا فساء البخيلات، أيتها القرية العاهرة سمنتي كلها من تحت راسكم»، ثم تنادي ثانية ابنتها جيهان: «اجلبي صحناً أكبر ،ما هذا؟ إنه صغير كفرج طفلة!»، وفي دهشة الانتظار تسقط نجمة أخرى من سماء ذاكرتي، أوقظ الذكريات من مساءات بعيدة وأخرى قريبة، وحيداً كما كنت أقف في المحطة وأخرج الأسئلة من جيب بنطالي وأنتظر ساعة وصول القطار.

هيئة الاستشارية:
جان بابير
نارين عمر

هيئة التحرير:
سربند حبيب
رشيد جمال

محرّرون:
فاتن حمودي
سلمى جمو

siba

رضوان باقي

تشكيلي كردي – سوري، من مواليد مدينة كوباني 1986م، درس الفن التشكيلي في معاهد خاصة للفنون، وبعدها التحق بكلية الفنون الجميلة والتطبيقية بمدينة حلب.
سافر إلى بيروت وأكمل دراسته في مجال فن «ديكور عام»، ودرس أيضاً علم الاجتماع في الجامعة اللبنانية.
عمل في ترميم اللوحات الفنية في إحدى المتاحف ببيروت، وشارك في كثير من المعارض الجماعية والفردية، وأقام عديد من المعارض الدولية في لبنان وسوريا والولايات المتحدة الأميركية وكندا وألمانيا والإمارات والنرويج.
عمل في بيروت مع منظمات terre-des-hommes-italy – save the children كمتطوع للدعم النفسي للأنشطة الفنية للاطفال، وأيضاً عمل متطوعاً مع منظمة Abloom النرويجي للمعاقين كمشرف ومنسق، وقد قام بتجهيز الديكور العام (Plate Form) لمهرجان الأفلام بأوسلو.
يعمل حالياً في مرسمه Art colour space في مكان إقامته الحالية بالعاصمة النرويجية أوسلو، حيث يعمل على العديد من التقنيات الحديثة في الفن وإعادة تدوير المواد المستخدمة.